إشكاليـــة اللغـــــة

عند محمد بن يوسف أطفيش

د . أحمد جلايلي

جامعة ورقلة

لقد شغل موضوع اللغة الدارسين منذ القدم، عربا كانوا أو أعاجم، فاهتموا بهذا الموضوع أيما اهتمام، وألف المسلمون فيه المصنفات المختلفة، وانصبت عنايتهم على تعريف اللغة، وكيفية نشأتها، وأسباب تطورها، وتحدثوا عن أفضل اللغات وأشرفها في الدنيا والآخرة، واهتدوا إلى أنها أسبق اللغات وأعظمها، لأنها لغة القرآن الكريم.

ومما لا ريب فيه أن أطفيش واحدٌ من العلماء الجزائريين (1821م _1914م)المجتهدين في المذهب الإباضي. والمجتهد في المذهب هو من أخذ النفس ببذل الطاقة، وتحمل المشقة. ومن أهم شروطه أن يمتلك نصيبا وفيرا في دقائق اللغة وعلوم الدين، وأطفيش كغيره ممن يتأثرون بمعارف سابقيهم وبمناهجهم، فكانت له كتابات في قضايا فقه اللغة. فتحدث عن تعريف اللغة، وعن نشأتها، وعن المعرَّب في القرآن الكريم. فهل قدَّم إسهامات في هذه المباحث المذكورة ؟ وللإجابة عن هذا السؤال يتحتم علينا أن نناقش القضايا الآتية.

أ - تعريف اللغـــة:

عَلِمْنَا أن ابن جني هو أو من عرف اللغة تعريفا دقيقا، ذا صلة قوية بتعريف العلم الحديث، فما موقف أطفيّش من هذا التعريف ؟

1- التعريف اللغوي:

لم يضف شيئاً ذا أهمية في تعريف اللغة على ما ذكره ابن جني في الخصائص، على أن اللغة «مِنْ لَغَوْتُ،أي: تَكَلَّمْتُ»[1]،فهذا هو المعنى المعجمي الوحيد الذي ذكره

أطفيش[2]. ولكنه تحدث بإسهاب عن أصل الاشتقاق للفظ "اللغة"حيث قال: «وأصل اللغة اللُّغْيُ، أواللُّغْوُ، كذلك يحتمل أن يكون أصله واوًا، وعوضت عنه الهاء، أي: التاء، وفتحت الغَيْن، لأن ما قبل التاء المكتوبة على صورة الهاء يكون ما قبلها مفتوحا، أوساكنا غير صحيح، وكذا ما قبل تاء التأنيث الماضي، فأصل "اللغة": لُغْيَة أو لُغْوَة؛ كغُرْفة، هذا ما ظهر لي، ومن أتى بأَوْلَى منه فهو أَوْلَى مِنِّي»[3].

وتلخيصاً لما قيل في هذه الدراسة الصرفية للفظ "اللغة": إنّ لفظ "اللغة" أصابه حذف لام الوزن: الياء؛ أو الواو، ثم لحقه تعويض بالتاء على الحرف المحذوف، ولو لم يحذف من اللفظ لامه؛ وأضيفت إليه التاء؛ لكان علىالأصل" لُغْيَة" أو "لُغْوَة".

فالزيادة الملاحظة في نص أطفيش على ما فصَّله ابن جني في الحروف الأصول للفظ "اللغة" هو أن الأصل عنده "لغية" بالياء، بينما اقتصر ابن جني على"لغوة" في قوله: «وأصلها لُغْوَة كـــ"كُرَة" و"قُلَة" و"ثُبَة"، كلّها لاماتها واوات »[4] . وقد تكون هذه الإضافة الجديدة للبنية الصرفية في لفظ "اللغة" هي التي خوَّلت له أن يقول: «هذا ما ظهر لي، ومَنْ أَتَى بِأَوْلَى مِنْهُ فهو أَوْلَى مِنِّي» [5].

2 – التعريف الاصطلاحي:

نصدِّر الحديث عن تعريف اللغة في الاصطلاح بتعريف ابن جني، لما له من أهمية في الدرس اللغوي الحديث، زيادة على الأثر الواضح الذي خلفه هذا التعريف في مؤلفات العلماء المتأخرين، إذ يقول ابن جني: «أما حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»[6]. فالمتأمل في هذا التعريف يلتمس فيه عناصر معينة، هي: الصوت البشري؛ والتعبير المقصود؛ والمتكلم؛ والسامع. وهذه العناصر جميعها هي التي تُحْدِثُ عملية التفاهم بين أفراد المجتمع الواحد، وهي العملية نفسها التي نسميها الكلام، وفي ذلك يقول فندريس: «في أحضان المجتمع تكونت اللغة، وُجِدَتْ اللغةُ يوم أحَسَّ الناسُ بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم فاللغة –وهي الواقع الاجتماعي بمعناه الأوْفَى– تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، وصارت واحدة من أقوى العرى التي تربط الجماعات، وقد

دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي »[7]. فهذا قول فندريس يوضح أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، أو هي عمل مكتسب من الإنسان وإلى الإنسان. وهو التعريف المفهوم نفسه الذي يستشف من عبارة ابن جني.

وما هو معلوم أن التعريف العلمي للغة عند العرب هو تعريف ابن جني، فهو التعريف الدقيق الذي أثبت جدارته عبر القرون، والذي تناقلته المؤلفات العربية بحذافيره؛ وقلّما نجد فيها تغييرا؛ وإنْ وجد فهو تغيير في اللفظ لا غير[8]. فماهو رأي أطفيّش في التعريف الاصطلاحي للغة ؟

لقد ساق عدة تعريفات للغة، وهي كلها متقاربة لفظًا ومعنى، ومن هذه التعريفات أن «اللغة ألفاظ يعبر بها كل قوم عن مقاصده»[9]. ثم أورد تعريفا آخر، وهو أن «اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن مقصودهم »[10]. وختم هذه التعريفات بتعريف السَّعْد الدين التفتازاني[11]؛ على أن اللغة هي «الألفاظ الموضوعة للمعاني»[12].

ولم يناقش اللغويين في تعريفاتهم للغة، وهو ما يدل -في نظرنا- على أنّها سليمة، على الرغم من وجود الفارق اللفظي في كلمتي 'الألفاظ" و"الأصوات"، وكأنّه يجعل اللفظ والصوت بمعنى الرمز الدال على معنى فهما سواء، لأن المقصود من اللفظ هو الصوت الدال على معنى مع قصدها[13].

وإذا كان قد غضَّ الطرف عن مناقشة تعريفات اللغة؛ فإنه أفاض البحث في مسألة أصل نوعية الوضع في اللغة[14]، فذكر اعتراض الناصر اللقاني(ت958هـ)[15]، على تعريف سعد الدين التفتازاني المذكور سابقا، وهو أن اللغة هي: «الألفاظ الموضوعة للمعاني». فالناصر اللقاني يرى أن حَدَّ التفتازاني غير جامع لتعريف اللغة، لأنه غير صادق على المركبات، كـ"خَمْسَةَ عَشَرَ"، و"قَامَ زَيْدٌ"، إنْ كانت علمًا، لأنها مفردات تركبت استعمالا؛ فأصبحت من اللغة اتفاقا. على الرغم من أن الواضع وضع "خَمْسَة" على حده، و"عَشَرَة" على حده، والأمر نفسه في:"قام زيد"، فإنها ألفاظ فقدت معانيها الموضوعة لها بالتركيب[16].

إن أطفيش يتدخل هنا لمناصرة سعد الدين التفتازاني، ويوضح «بأنها موضوعة من حيث أجزاؤها، وهي المفردات، أي: الألفاظ الموضوعة إما بنفسها أو بأجزائها»[17]. لأن تركيب الإفراد أصبح من قبيل المفردات، ولا مجال لطرح إشكالية الوضع هنا، فالكلمة أصبحت بإزاء حقيقة واحدة، بعد أن كانت تحمل حقيقتين؛ أو أكثر، فاللفظ إما دالٌّ بالوضع الشخصي، مثل: "زيد" و"رجل"، وإما بالوضع النوعي كالمركبات، مثل: "خمسة عشر"، و"تأبط شرًا"، إذاكانت علما[18].

وبعد أن أنهى معالجة إشكالية الوضع في اللغة؛ عاد ليعرض مجموعة أخرى من تعريفاتها، فأورد تعريف الرازي[19]،القائل بأن«اللغـــة اللفظ الموضوع»[20]. وأورد أيضا تعريفا مفاده: أن «اللغة كلام القوم الذي به يتحاورون في تعريف بعض مقاصد بعض»[21]. وختم حديثه عن تعريفات اللغة بتعريف للأصوليين على أنها: «عبارة عما حفظ من كلام العرب الخلّص، ونقل عنهم من الألفاظ الدالة على المعاني»[22]. وعلّق على هذه التعريفات بقوله: «إن اللغة تطلق على المفرد وعلى المركب، وعلى جملة كلام القوم »[23]. ووجّه هذه التعريفات بالطريقة السابقة نفسها، تماشيا مع قناعته في أن الوضع يشمل المفردات لا المركبات الإسنادية.

وأخيرا يمكن القول فيما أثر عن أطفيش في تعريف اللغة: إنه كان مقلّدا لأراء العلماء، ولم يكن فيها مبدعًا، بل إن التعريفات التي أدرجها في مؤلفاته لا تحيد عن تعريف اللغة لابن جني. ولا يفرق بين مصطلحي اللفظ والصوت، فهما مترادفان عنده. وأخلط أطفيش أيضـــا بين مصطلـــحات هي في منهج الدرس الحديث لعلم اللغـــة مختلفة اختـــلافا بيِّنا، والمصطلـــحات المعنـــية هي : الكـــلام واللـــسان واللـــغة[24]. لأنه كان متأثرا بمفاهيم لغوية موروثة عن النحاة القدماء الذين قالوا:«الكلام هو المركب من حرفين فصاعدًا»[25]، وقالوا: «إنَّه قولٌ مفيدٌ»[26]. وقالوا: «لا يسمّى الجملة»[27]. وقالوا: «هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى»[28]. وقالوا: هو ما «اجتمع فيه أمران اللفظ والإفادة»[29].

وعبَّر اللغويون عن "الكلام" باللغة، كما هو واضح في تعريف ابن جني: «اللغة أصوات يعّبر بها كل قوم عن أغراضهم»[30]. لأن تعبير الإنسان عن غرضه بالصوت لا يكون إلا كلاما بالمفهوم اللغوي الحديث(La Parole).

إن الخلط في مفاهيم الكلام هو الذي أوقع أطفيّش وغيره من الدارسين القدامى في استعمال مصطلحات متنوعة: من كلام، وصوت، وقول، ولفظ، وغير ذلك. ومهما يكن فإن الخلاف بين النحاة في تعريفاتهم للكلام في معظمه خلاف لفظي، اللهم إلا في خلافهم عن الكلام والجملة لما بينها من فرق. فالكلام من شرطه الإفادة، بينما الجملة قد لا تفيد، كجملة الشرط، وجملة الصلة، وعلى ذلك فالكلام أخص منها، والجملة أعم منه[31].

وعلى الرغم من هذا الخلط في المفاهيم اللغوية فإن الدارس العربي كان على وعي كامل بالمادة المدروسة، لأنهم درسوا الكلام(La Parole)؛ لا اللغة بمفهومها الحديث(La Langue)، فاللفظ والإفادة عند النحاة يساوي "الكلام"،وأما اللغة(La Langue) فلن تكون إلا ألفاظا مخزنة صامتة في ذاكرة الفرد، أو في ذاكرة المجتمع المنتمي له. وبعبارة أخرى فاللغة هي امتلاك الفرد للآلية اللغوية من غير استعمال، والكلام هو أداء واستعمال للمخزون اللغوي عن طريق التلفظ، وهو الذي عناه العلماء العرب، وخاصة نحاتهم في الدرس اللغوي، وكان أطفيش واحدا منهم متابعا إياهم في تحليل قضايا اللغة متأثرا بمصادر ثقافته، وأفكار عصره التي انعكست على بحوثه في الموضوعات والمنهج.

ب – نـــشـــأة اللغة:

تساءل العلماء منذ عهود قديمة عن اللغة: باعتبارها قضية تخص الإنسان، فقالوا: أي لغة كانت الأولى ؟ ولماذا تعددت اللغات ؟ وهل هي من وضع الإنسان أم هي توقيف من الله ؟ واجتهد العلماء في الإجابة عن هذه التساؤلات، وكانت إجاباتهم

مختلفة، لأن دراساتهم كانت في مواضيع غيبية ميتافيزيقية يفسرها الدارسون بحسب ميولاتهم العقدية، أو نزعتهم العرقية، أو بحسب أهوائهم الشخصية، غير مستندين على دراسات علمية جادة، أو على وثائق أو بيانات رسمية تؤكد أحكام نتائجهم، وتقنع المتلقي، ويطمئن إليها المنهج العلمي، بل كل ما توصل إليه العلماء من نتائج ما هو إلا ضرب من التخمين أو الافتراض قد يصيب ويخطئ، والدليل على ذلك هذه النتائج المختلفة التي اهتدى إليها العلماء قديما، حيث كانت ثلاثة مذاهب[32]:

1- مذهب الأشعرية:

يقرُّ الأشعريُّون بأن اللغة من وضع الله، معتمدين في هذه النتيجة على قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[34]، فالأسماء هي أسماء مسمّيات[35]، واستنادا على قول ابن عباس-رضي الله عنهما-: «علّمه اسم الصحفة والقدر حتى الفسوة والفسية». وفي رواية عنه:«عرض عليه أسماء ولده إنسانا إنسانا، والدواب، فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس»[36]. فبناء على هذه النصوص استقر رأي الأشعريين على أن اللغة وصلت إلى الإنسان بوحي من الله إلى آدم. وناصر هذا المذهب كثير من علماء المسلمين. وكان من أكبر العلماء المسلمين المدافعين عن هذا الرأي أبو علي الفارسي (ت377هـ)[37]، وأحمد ابن فارس(ت395هـ)، حيث قال ابن فارس باللفظ الصريح: «إن لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، فكان ابن عباس يقول: علمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها»[38].

فهذا ابن فارس اللغوي يؤكد أن اللغة توقيف بناء على الآية الكريمة؛ وعلى قول ابن عباس رضي الله عنهما-. ويذهب إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يسمي المسميات، لأنه عاجز عن وضع اللغة، والبيّنة في هذا العجز هو عدم الاحتجاج بلغة

القرن الرابع الهجريّ، لما فيها من لحن وركاكة[39]. وكان يرى أن اللغة نزلت عن طريق الوحي على آدم -عليه السلام بما كان يحتاج إليه زمانه، ثم انتشرت بعده مع الأنبياء العرب إلى أن انتهى أمرها مع الرسول محمد، وكل لفظ أحدث بعده عليه الصلاة والسلام هو مختلف، وليس من لغة العرب. ودليله على ما يقول أنه لم يثبت على فصحاء العرب أنهم اصطلحوا على تسمية شيء، ولم يثبت هذا أيضا عن الصحابة رضي الله عنهم[40].

بل ذهب ابن فارس الى أبعد من ذلك فقال: إن الخط العربي توقيف من الله[41]، وكذلك علمي النحو والعروض، فهي من العلوم العربية القديمة التي اندثرت بطول الزمان ثم تجددت في زمان إيقاظ همم الرجال والعلماء أمثال: أبي الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد الفراهيدي[42].

وسار القرطبي على منهج ابن فارس في إثبات اللغة توقيفا، إذ يقول في تفسير الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أن «تعليمه هنا إلهام وعلمه ضرورة، يحتمل أن يكون بواسطة مَلَكٍ، وهو جبريل عليه السلام»[43]. ثم يواصل القرطبي ليعلل ضرورة تعليم آدم الأسماء، فيقول: لأنه «لو لم يكشف لآدم عِلْمَ تلك الأسماء لكان أعجز من الملائكة في الإخبار عنها»[44]. وقال أيضا: إن آدمَ عليه السلام هو أول من تكلم باللغات البشرية على الإطلاق[45].

فهذه الأحكام التي أصدرها القرطبي لا تخرج في مجملها عما أصدره ابن فارس في نشأة اللغة، إلا أنه لم يتجاوز حديثُه آدَمَ -عليه السلام- في تعليمه اللغة. وقد يكون هذا الاقتصار إشارة إلى أن آدم كان المعلم الأول للغة البشر، وهي بداية التواضع والاصطلاح، لذلك نرى أنه لم يكن مبالغا في مناقشة مسألة اللغة، مقارنة مع غلو ابن فارس الشديد.

2 - مذهب المعتزلة:

ذهب أهل الاعتزال إلى أن اللغة من وضع البشر، وتسوق الكتب العربية نسبته إلى

ابن جني، انطلاقا من بعض أقواله في "الخصائص" حيث يقول: « هذا موضع محوج إلى أفضل تأمل، غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف، إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يوماً: هي من عند الله، واحتج بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وهذا لا يتناول موضع الخلاف، وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: "أقدر آدمَ على أنْ وَاضَعَ عليها"، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة، فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به، وقد كان أبو علي رحمه الله أيضا قال به في بعض كلامه، وهذا أيضا رأي أبي الحسن على أنه لم يمنع قول من قال: إنها تواضع منه...»[46]. ولكن إن كان الإصطلاح باديا عند ابن جني في النص، فإنه يصرح بغيره في موضع آخر، ويَقْوي في نفسه اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه، وأنها وحي[47].

ومهما يكن فإن المعتزلة يحتكمون إلى منهج العقل في إصدار آرائهم، وبخاصة في المسائل الدنيوية، وهم الذين يتمسكون بأن اللغة تواضَعَ عليها البشر.

3- مذهب محاكاة الأصوات:

ذهب فريق ثالث إلى أن اللغة نشأت في بدايتها عن محاكاة أصوات الطبيعة، واستحسن هذه النظرية ابن جنّي كذلك، وهي عنده مذهب متقبَّل[48]. ولقيت هذه النظرية تقبلا عند المحدثين العرب، ومنهم علي عبد الواحد وافي في كتابه "علم اللغة"[49]،وإبراهيم أنيس في كتابه "دلالة الألفاظ"[50]. ومن علماء الغرب يسبرسن (Yespersen) وهو الذي أطلق عليها نظرية (BOW-WOW)[51]، وهناك من عارضها وفنّد حججها. فمن العرب عبده الراجحي في كتابه "فقه اللغة في الكتب العربية"[52]. ومن علماء الغرب فندريس (J - Vendryes) في كتابه "اللغة"[53]، وسابير(Sapir) في كتابه "اللغة"[54].

فهذه أهم النظريات التي ناقشت نشأة اللغة عند العرب القدامى، وكانت ثلاثة

كما وضحناه سابقًا، فما هو موقف أطفيش من هذه النظريات ؟

يقول: «وواضع اللغة الله، فالمراد بالأسماء الألفاظ الدوال على المعاني، فشملت الحرف والفعل، إفرادا وتركيبا، حقيقة ومجازا، ودخلت أسماء الله كلها، بل قيل: أراد أيضا ما يدل بلا لفظ، كالنَّصب والعقد والإشارة بالجارحة، وحال الشيء»[55]. فاللغة عنده هي من وضع الله لا من وضع البشر، انطلاقا من منطوق الآية: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. وهذا مذهب أبي علي الفارسي، وأحد آراء ابن جني، وابن فارس، والقرطبي وغيرهم.

إلا أن أطفيش يختلف مع ابن فارس في الكَمِّ اللغوي الذي علمه الله آدم، إذ كان يرى ابن فارس أن آدم لم يتعلم اللغة كلها، بل علمه الله ما شاء في زمانه، وحسب ما تدعو الحاجة إليه، ثم علَّم من كان بعده من الأنبياء العرب ما شاء أن يعلمهم، حتى انتهى الأمر إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي ختم كلام العرب[56]. بينما يقول أطفيش: إن الله ألقى اللغة في قلب آدم مرّة لا بتعليم مَلَكٍ، ومن جميع اللغات، وهي الحروف والأفعال والأسماء[57]. وهذا الرأي للأشعريين، فهم الذين يعتقدون أن الله علم آدم اللغات جملة وتفصيلا[58].

إن موافقته لرأي الأشعرية في هذه المسألة يدعونا إلى التساؤل، لأنه يناصر المعتزلة في كثير من آرائهم العقدية، وبخاصة في قضية خلق القرآن الكريم[59]، والمعتزلة كما سبق قوله هم الذين أيدوا نظرية الاصطلاح في اللغة[60]، لأن الله سبحانه قديم «والقديم لا جارحة له، فيصح الإيماء والإشارة بها منه، فبطل عنهم أن تصح المواضعة على اللغة منه»[61].

فالكلام -في نظر المعتزلة- يحتاج إلى حيّز وجسم، والله يتنزه عن التجسيم، لذلك بطل عندهم أن تكون اللغة من وضع الله، فما تفسير أطفيش لكلامهم ؟

إن التوقيف في مفهوم أطفيش كان عن طريق الإلقاء، لا عن طريق التعليم، وهذا الإلقاء كان مباشرا من الله إلى آدم -عليه السلام- لا بواسطة أو تعليم كما قيل،

ودليله في ذلك ظاهر الآية، غير أنه يؤوِّل قوله تعالى: "عَلَّمَ"، بـــ"ألقى"، والحكمة في تأويل هنا تجنب التجسيم، باعتبار الله عز وجل مخالفا للحوادث، في حين أن عبارة التعليم تثبت التجسيم، لأنها في حاجة إلى معلم ومتعلم، وهذا وجه الخلاف بينه وبين ابن فارس، الذي يرى أن الله علَّم آدم الأسماء على فترات حسب حاجته إليها[62]. وبعبارة أخرى فالإلقاء هو إلهام من الله إلى نبيه[63]، وهوكلام حقيق، إلا أنه لم يتصف به الله، بل غيره[64]، وهو آدم -عليه السلام-.

والخلاف بينهما أيضا في نوع اللغة التي تعلمها آدم. فهذا ابن فارس يرى أنها لغة العرب[65]، بينما يراها أطفيش من جميع اللغات[66]. وهو في هذه المسألة يميل إلى رأي الأشعريين القائلين بأن اللغة توقيف، لكنه يتحاشى عملية التعليم لمبدأ التنزيه، لذلك يقول بالإلقاء من غير تصور للتكييف، كما صرح به في مناقشة لرؤية الله[67]. وفي هذين الرأيين كثير من التوافق بين الأشاعرة والإباضية.

وأصل الخلاف في نشأة اللغة عند المذاهب الإسلامية يعود إلى خلافهم في كلام الله عز وجل. كما أن أصل خلافهم في كلام الله يعود إلى الجمع بين الذات والصفات وهـــو رأي المعتزلة والإباضية[68]، أو يعود الفصل بينهما وهو رأي الأشاعرة[69]، وهو خلاف عقدي أساسه مخالفة الله للحوادث، انطلاقا من الآية الكريمة:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[70]، فالآية دليل على مبدإ الوحدانية لله عز وجل، وتفرده بذاته وصفاته، وفيها دعوة إلى التنزه عن التجسيم والتشبيه والتحيز، لذلك أُلْزِمَ المعتزلة والإباضية بوجوب تأويل النصوص المتشابهة، وردِّها إلى المحكمات، تفاديا لأي تصويرٍ لذات الله أو صفاته. وذهب الأشاعرة إلى إثبات ما نصت عليه الآية القرآنية والأحاديث النبوية، مع اعتقاد مخالفة الله للحوادث، خوفا من القول بالرأي والابتعاد عن القرآن الكريم والحديث[71]، ولذلك كله نتج خلافهم في نشأة اللغة. فذهب المعتزلة إلى أنها

تواضع من البشر، وذهب الأشاعرة إلى أنها توقيف من الله، وجمع أطفيش بين الرأيين، وكان رأيه هو التوقيف بلا تصوُّر لكيفية التوقيف، وأن اللغة المتعلَّمة كانت من جميع اللغات؛ لا لغة العرب وحدها، كما قال ابن فارس.

الإحالات

[1] -الخصائص: 33/1.

[2] -شرح لامية الأفعال: 121/1.

[3] -شرح لامية الأفعال: 120/1.

[4] -الخصائص: 31/1.

[5] -شرح لامية الأفعال: 120/1.

[6] -الخصائص: 33/1.

[7] -اللغة، فندريس، ترجمة:عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص،(دط)،مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، 1950م، ص: 35.

[8] -لقد ألف أحمد بن فارس والثعالبي في فقه اللغة كتابين: الصاحبي، وفقه اللغة، ولم يعرفا فيهما اللغة. وألف الشريف الجرجاني والسيوطي كتبا في هذا الشأن، ولكنهما اكتفيا بما بعرض ما قدمه ابن جني. **يراجع**:التعريفات للشريف الجرجاني،(دط)،دار الكتب العلمية،بيروت،1995م،ص:192،والاقتراح، ص:31.

[9] -شرح لامية الأفعال: 118/1.

[10] -المصدر نفسه: 118/1.

[11] -هو مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني، ولد سنة 712هـ، له شرح العضد وشرح التلخيص، وشرح المفتاح في العلوم، توفي سنة 791هـ بسمرقند. **يراجع**: بغية الوعاة: 285/2.

[12] -شرح لامية الأفعال: 119/1.

[13] -شرح الكافية: 3/1.

[14] - اختلف العلماء العرب المؤيدون لنظرية التوقيف في اللغة في أصل الوضع. فذهب بعضهم إلى أن الموضوع منها هو اللفظ المفرد والمركبات الإفرادية،مثل:القلم وحضرموت. وهو ما يسمى بالوضع النوعي. ومؤيدوا هذا الرأي منهم: ابن الحاجب(ت646هـ) وابن مالك (ت672هـ) وأبوحيان الأندلسي (ت745هـ) وخالد الأزهري(ت 905هـ) والسيوطي(ت911هـ). ودليلهم في هذا أن العرب لو وضعت المركبات الإسنادية لتوقف استعمال الجمل والتراكيب، وليس للمتكلم اختيار في الجمل وتوزيعها. وذهب الفريق الثاني إلى أن العرب منعت التصرف في التراكيب كما منعته في المفردات، ومن هؤلاء العلماء: يَس العليمي(ت1061هـ) وابن الحاج(ت1232هـ). **يراجع**: المزهر: 40/1، وحاشية ابن الحاج على شرح خالد الأزهري على الأجرومية، ص: 12، وحاشية الصبان على شرح الأشموني :31/1، والجامع لأحكام القرآن:241/1، و المسائل التحقيقية، ص: 5.

[15] -الناصر اللقاني هو: ناصر الدين أبو عبد الله محمد اللقاني المتوفى سنة 958هـ. ومن مؤلفاته "حاشية على تفسير سعد الدين التفتازاني على كتاب العزي في التصريف" للزنجاني(ت655هـ). **يراجع**: المهذب في علم التصريف، هاشم طه شلاش وآخرون، ص: 40.

[16] -شرح لامية الأفعال: 119/1.

[17] -شرح لامية الأفعال: 119/1. **يراجع:** المسائل التحقيقية، ص : 5.

[18] - **يراجع:** شرح المفصل: 20/1. وحاشية الصبان على شرح الأشموني: 31/1، وشرح الكافية :3/1.

[19] -الرازي هو: محمد بن عمر بن الحسن، الملقب بفخر الدين، المتوفى سنة 606هـ، من مؤلفاته: "مفاتيح الغيب" المعروف بـ"التفسير الكبير"، وله "معالم أصول الدين"، و"المسائل الخمسون في أصول الكلام". **يراجع:** الأعلام للزركلي: 312/6، وظهر الإسلام: 84/4.

[20] -شرح لامية الأفعال: 119/1.

[21] - المصدر نفسه: 120/1.

[22] -المصدر نفسه: 120/1.

[23] -المصدر نفسه:120/1.

[24] -تيسير التفسير:(الطبعة الحجرية):4(ق2)/710، والمصدر نفسه:652/3. لقد فرق المحدثون بين هذه المصطلحات انطلاقا من دراسات دوسوسير(De saussure) إذ فرق بين مصطلحات ثلاثة وهي:

(أ)-اللغة(Le Langage): اللغة بمعناها الإنساني العام، ولها جانبان من الدراسة وهما: اللسان والكلام.

(ب)- اللسان أو اللغة المعينة(La Langue): وهي الجزء المتحقق من اللغة بمعناها الإنساني، وهو ما يعرف عادة باللسان العربي أو السان الإنجليزي أو السان الفرنسي أو غير ذلك.

(ج)- الكلام (La Parole): وهو المكون من أصوات، وهذه العملية فردية تنتمي إلى اللسان. فاللغة إذن ليست هي الكلام عند علماء الغرب المحدثين، وأجمع على صحة هذه الفروق في المصطلحات المذكورة كثير من علمائنا في العصر الحاضر. وهذا ما لم يشر إليه العرب القدامى في الدرس اللغوي.

يراجع: COURS GENERALE DE SAUSSURE PAYOT,PARIS 1969p=37 DE LINGUISTIQUE،ومنهج البحث في اللغة، تمام حسان.(دط)،دارالثقافة،المغرب،1986م،ص:39، ومبادئ اللسانيات،أحمد محمد قدور،(ط1)، دار الفكر، دمشق،1996م، ص: 18.

[25] -شرح الكافية: 3/1.

[26] -همع الهوامع: 10/1.

[27] -شرح المفصل: 20/1، والخصائص: 32/1.

[28] -المصدر نفسه: 20/1.

[29] -شرح التصريح على التوضيح: 19/1، المسائل التحقيقية، ص: 5.

[30] -الخصائص: 33/1.

[31] -مغني اللبيب: 431/2.

[32] -قسم السيوطي هذه الآراء على ثلاثة مذاهب هي: (1) مذهب الأشعرية. (2) مذهب المعتزلة. (3) مذهب الوقف. بينما ارتأينا أن يكون التقسيم غير ذلك. **يراجع:** الاقتراح، ص:31.

[34]-البقرة، من الآية: (31)، والآية كاملة هي: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

[35]-الكشاف: 125/1.

[36]-أخرجهما ابن أبي حاتم. الاقتراح، ص: 31، والمزهر: 28/1.

[37]-الخصائص:1 /40.

[38] -الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص: 6.

[39] -المصدر نفسه، ص: 7.

[40] -المصدر نفسه، ص: 8 ، 9.

[41] -المصدر نفسه، ص: 10.

[42] - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص: 11.

[43] -الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،(دط)، دار الشروق، القاهرة، مصر،(دت): 238/1.

[44] -المصدر نفسه ص: 238/1.

[45] -المصدر نفسه ص: 242/1.

[46] -الخصائص: 40/1.

[47] - الخصائص: 47/1، ويراجع: المزهر: 15/1، والاقتراح، ص: 31.

[48]-الخصائص : 46/1 .

[49]-علم اللغة ، علي عبد الواحد وافي (دط) مكتبة نهضة مصر ، القاهرة 1962م ، ص : 96 .

[50]-دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس (دط)،(د مط)، القاهرة 1958م . ، ص : 17

[51]-Language Its Nature, Development And Origin LONDON 1964 , P : 413.

[52]-فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، (دط)،(دب)،(دت)، ص : 90.

[53]-اللغة، فندريس، ص : 40.

[54]- Language SAPIR (Edward, NEWYORK 1921.) P: 5.

[55]-تيسير التفسير، (تحقيق طلاي) : 62/1.

[56]-الصاحبي، ص: 8.

[57]-تيسير التفسير، (تحقيق طلاي): 62/1.

[58]-الجامع لأحكام القرآن: 241/1.

[59]-تيسير التفسير، (الطبعة الحجرية): 62/5.

[60]-الخصائص: 44/1 ، 46، والاقتراح، ص: 32، والمزهر: 18/1.

[61] -الخصائص: 45/1.

[62] -الصاجي، ص : 8.

[63] -آراء الشيخ محمد بن يوسف العقدية، ص: 219.

[64] -تيسير التفسير، (تحقيق طلاي): 420/3.

[65] -الصاجي، ص : 6.

[66] -تيسير التفسير،(تحقيق طلاي): 62/1.

[67] -آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، ص: 152.

[68] -منهاج السنة: 220/1.

[69] -المصدر نفسه: 221/1، وظهر الإسلام: 74/4، وضحى الإسلام: 21/3.

[70] -الشورى، من الآية:(11). والآية كاملة هي: ﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[71] -الشيخ محمد بن يوسف أطفيش ومذهبه في تفسير القرآن، ص: 290.